الرقابة الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية فى القرنين الأول والثانى بعد الهجرة

دكتور / محمـود عرفه محمود *

على الرغم من ان التنظيمات الحضارية للدولة الاسلامية قد حظيت باهتمام وعناية كثير من الباحثين وبخاصـة النظم الادارية والماليـة ، الا ان رقابة الخلفاء للولاة والعمـال ومحاسبتهم اداريا وماليـا ، لاتزال فى حاجة لدراسة وافية حتى تتجلى صورة النظم الاسلامية .

كانت الرقابة من اهـم اركان النظـام المـالى والادارى فى الدولة الاسلامية التى حرص النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده على مراعاتهـا وتطبيقها للحفـاظ على امور المسلمين وغيرهم من رعايا الدولة الاسلاميـة .

اسس اختيار الولاة والعمال :

لم يكن للرقابة الادارية والمالية التى وضع اسسها النبى صلى الله عليه وسلم اجهزة خاصة بها ، انمـا تركز الاهتمام على اختيـار الولاة والعمال من ذوى الامانة والقوة والفضـيلة عملا بقوله تبارك وتعـالى : « ان خير من استأجرت القوى الامين » (١) ، فتنفيذ الاحكام والامانة ترجع الى خشية الله عز وجل (٢) ، قال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا . ومن لم يحكم بمـا انزل الله فاولئـك هم الكافرون » (٣) . فالاصل أن يباشر ولى الامر السلطة بنفسـه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ثم يختار اصلح الولاة والعمال وافضلهم لمعاونته (٤) . وتاسيسا على ذلك صار من المبادىء الاسلامية الراسخة ان طالب الولاية لا يولى ، فذكر ابن تيمية ، ان قوما دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم

(*) قسم التـاريخ ـ كلية الاداب ـ جامعـة القاهرة .

(١) سورة القصص : آيـة ٢٦ .

(٢) ابن تيمية : السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٣) سـورة المـائدة : آية ٤٤ .

(٤) المـاوردى : الاحكام السلطانيـة ، ص ٣٠ .

وسألوه الولاية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انا لا نولى امرنا هذا من طلبه » (٥) ، ويرجع ذلك الى ان طلاب الولاية والحريصين عليها هم من محبى السلطة (٦) ، وان يجتهد ولى الامر فى تولية الاصلح ما استطاع الى ذلك سبيلا ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين فقد خان الله ورسوله » (٧) .

على الرغم من تشدد النبى صلى الله عليه وسلم فى اختيار الولاة ، الا انهم كانوا يوضعون تحت الرقابة والمحاسبة الدقيقة ، فلما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة قدم وقال : « هذا لكم وهذا اهدى الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا اهدى الى ، فهلا جلس فى بيت ابيه او بيت امه فينظر ايهدى اليه ام لا » (٨) .

وهكذا ارسى النبى صلى الله عليه وسلم قواعد استخدام الولاة والعمال وفرض الرقابة عليهم لتكون نبراسا ونورا يهتدى به ويسير عليه من يلى امور المسلمين من بعده .

حرص الخليفة ابو بكر الصديق رضى الله عنه على اختيار الولاة والعمال بنفسه مهتديا فى ذلك بنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان المسئولية تقع على من حملها لقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه » (٩) . فكان الخليفة ابو بكر يزود الولاة والعمال بوصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تعيينهم فى الوظائف الادارية والمالية على بلدان الدولة الاسلامية .

سار الخليفة عمر بن الخطاب على نفس المنهاج القديم الذى يحتم على ولى الامر أن يختار الولاة والعمال على اساس الكفاية والامانة

---

(٥) ابن تيمية : المصدر السابق ، ص ١٣ .
(٦) محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى ، ص ٣٥ .
(٧) ابن تيمية : المصدر السابق ، ص ١٢ .
(٨) البخارى : صحيح البخارى (كتاب الاحكام — باب محاسبة الامام عماله) ، جـ ٨ ص ٩٥ .
(٩) الترمزى ج (باب ما جاء فى طاعة الامام) ، جـ ٧ ص ١٩٨ .

لتحقيق الرقابة الذاتية فقال : « ما كان بحضرتنا باشرناه بانفسنا وما غاب عنا ولينا فيه اهل القوة والامانة » (١٠) . فكان الخليفة عمر يتحرز فى اختيار عماله ويختارهم من بين اهل الصلاح والدين والامانة خاصة من كان منهم له صلة بالاموال العامة حفاظا على قدسيته وحرمته .

سياسة الخلفاء فى مراقبة اعمال ولاتهم :

لم يقتصر دور الخلفاء على تعيين الولاة والعمال من اهل التقوى والصلاح والكفاية ، بل كانوا يشرفون بانفسهم عليهم ، ويراقبون اعمالهم ويحاسبونهم عليها ، يتضح ذلك من قول الخليفة عمر فى احدى خطبه : « ارايتم ان استعملت عليكم خير من اعلم ثم امرته بالعدل ، اكنت قضيت ما على ؟ قالوا : نعم ـ قال : لا ، حتى انظر فى عمله اعمل بما امرته ام لا » (١١) .

لما اتسعت الفتوحات الاسلامية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب تطورت تبعا لذلك التنظيمات عامة والنظم الادارية والمالية بوجه خاص بعد ان ازدادت السلطات وتعددت الاختصاصات ، فوضع الخليفة عمر بعض القواعد العامة التى تكفل الرقابة الحاسمة على الولاة والعمال فى اطار من المرونة والعدالة عند المحاسبة . ومن اهم الاجراءات التى اتخذها ، مبدا تحديد السلطة والمسئولية (١٢) حتى يعرف كل عامل واجباته فيؤديها وحقوقه فيلتزم حدودها (١٣) ، فكان يكتب للوالى فى عهد التولية : « قد عينتك لابلوك فان احسنت زدتك وان اسات عزلتك » . والى جانب ذلك كان يشترط عليه اربعا : ان لا يركب برذونا ، ولا يلبس ثوبا رقيقا ، ولا يغلق بابا دون حوائج الناس ، ولا يتخذ حاجبا (١٤) . وكان يختتم كتاب التولية بالعبارات الآتية : « الا وانى لم ابعثكم امراء ولا جبارين ، ولكن بعثتكم ائمة الهدى ـ يهتدى بكم ، فادوا على المسلمين

---

(١٠) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١١٩ .

(١١) ابن قتيبة : عيون الاخبار ـ المجلد الاول ، ص ٥٣ .

(١٢) يعد هذا المبدأ من اهم المبادىء التى تعتمد عليها الادارة الحديثة فى العصر الحاضر.
انظر : Drucker & Peter : The Practice of Management, p. 21.

التحديد لغويا : هو الفصل بين السببين لئلا يختلط احدهما بالآخر ، او لئلا يتعدى احدهما على الآخر .

انظر ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ص ٧٧ .

(١٣) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٦ .

(١٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار ـ المجلد الاول ص ٥٤ .

حقوقهم ، ولا تضربوهم ، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تغلقوا الابواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ، ولست ادع احدا يظلم احدا حتى اضع خده على الارض ، واضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق » (١٥) . وبذلك حدد لهم قواعد الارتباط بالمسئولية .

على الرغم من قيام الخليفة عمر بن الخطاب بتحديد اختصاص كل وال او عامل من خلال تزويدهم بالتعليمات الواجب مراعاتها ، الا انه كان لايتركهم يتصرفون كما يريدون ، بل كان يشهد عليهم الناس حتى يحقق بذلك الرقابة العامة . التى يقوم بها الناس كافة ، لذلك كان عهد التولية او التعيين يقرأ على الملأ ، وينتهى بدعوة الناس للرقابة على ولاتهم وعمالهم : « ايها الناس .. انى اشهدكم على امراء الامصار ، انى لم ابعثهم الا ليفقهوا الناس فى دينهم ، ويقسموا عليهم فيئهم ، ويحكموا بينهم بالعدل ، فان اشكل عليهم شيء رفعوه الى ، فوالذى نفسى بيده لاقصنه منه » (١٦) .

وقد اكد الخليفة عمر ذلك فى رده على اعتراض عمرو بن العاص ، فلما قال عمرو : « يا امير المؤمنين ، ارايت ان كان رجلا من المسلمين واليا على رعيته فادب بعضهم ، انك تقصه منه ؟ قال عمر : اى والذى نفسى بيده لأقصنه منه .. الا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم » (١٧) .

يتضح اثر الرقابة العامة على الولاة والعمال فيما ذكره ابن عبد ربه ، من عمر بن الخطاب ، فقد روى انه لما علم من بعض المصريين ان عمرو ابن العاص واليه على مصر اتخذ خيلا وإبلا وغنما وبقرا وعبيدا ، كتب اليه يساله عن ذلك ، فاجابه عمرو انه فى بلد يتمتع برخص الاسعار وانه استثمر امواله فى الزراعة ، غير ان عمر لم يقتنع بمبررات عمرو وارسل اليه محمد بن مسلمة (١٩) ــ مبعوثه الى العمال ومعه رسالة جاء فيها :

---

(١٥) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٢٧ .
و ابن الجوزى : سيرة عمر بن الخطاب ، ص ٨٢ .
(١٦) ابو يوسف : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
(١٧) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٢٥ .
(١٨) انظر ، العقد الفريد : ج ١ ص ٤٥ ــ ٥٥ .
(١٩) هو محمد بن مسلمة الخزرجى الانصارى ، أسلم بالمدينة وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين ابى عبيدة بن الجراح ، وشهد بدرا واحدا .
انظر ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ١٩ .

« فانكم أيها الرهط الامراء جلستم على عيون المال ثم لم يعجزكم عذر تجمعون لأبنائكم وتمهدون لأنفسكم ، أما انكم تجمعون العار وتورثون النار » .

ولما حضر رجل من أهل حمص الى المدينة المنورة وابلغ الخليفة عمر ابن الخطاب ان عياض بن غنم (٢٠) ، قد لبس الرقيق واتخذ الحاجب دعا محمد بن مسلمه وانفذه الى عياض وطلب منه ان يأتى به على الحال التى يجده عليها ، فأتاه فوجد على بابه حاجب واذا عليه قميص رقيق، فقدم به على الخليفة ، فلما رآه عمر قال : انزع قميصك ، ودعا بمدرعة صوف وبريضة من غنم وعصا وقال : البس هذه المدرعة وخذ هذه العصا وارع الغنم واشرب واسق من مر بك واحفظ الفضل علينا . اسمعت ؟ قال : نعم والموت خير من هذا . فقال عمر : ولم تكره هذا وانما سمى ابوك غنما لأنه كان يرعى الغنم . ولما اطمأن الخليفة الى عياض اعاده الى عمله (٢١) .

كذلك لما اشتكى أهل حمص الى الخليفة عمر بن الخطاب من ان عامله سعده بن عامر بن خزيم لايخرج اليهم حتى يرتفع النهار ولا يجيب احدا بليل ، وله يوم فى الشهر لا يخرج اليهم ، استدعاه عمر وسأله عن ذلك ، فاوضح انه يعجن العجين وينتظره حتى يختمر ثم يخبزه ثم يتوضأ ويخرج اليهم لانه ليس لاهله خادم ، كما يقضى ليله كله فى التعبد ويخصص يوما فى الشهر لغسل ثيابه . فقال عمر : « الحمد لله الذى لم يقل فراستى فيك ، يا أهل حمص استوصوا بواليكم خيرا (٢٢) .

لما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة وجه كتابا الى ولاة الدولة الاسلامية وعمالها جاء فيه : « أما بعد ، فان الله لخلق الخلق بالحق فلا يقبل الا الحق ، خذوا الحق واعطوا الحق به والامانة ، قوموا عليها ولا تكونوا اول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء » (٢٣) .

---

(٢٠) هو أحد قادة الفتح العربى بالجزيرة ، فتح حوران والرها والرقة وقرقيسيا ونصيبين وسنجار وغيرها ، وقد ولى حمص بعد وفاة أبى عبيدة ابن الجراح سنة ١٨ هـ .
انظر البلاذرى : كتاب فتوح البلدان ، ص ٢٠٤ — ٢٠٧ . ٤
(٢١) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٢٦ .
(٢٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ص ٥٢٢ .
(٢٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٤ — ٤٥ .

وفضلاً عن ذلك كان يستقبل وفود الامصار الاسلامية ويستفسر منهم عن سلوك عماله . كما كان يعقد مجلسا فى كل موسم يحضره العمال واصحاب الشكاوى للفصل فيها ، يتضح ذلك من قوله « فانى آخذ العمال بموافاتى فى كل موسم وقد سلطت الامة منذ وليت على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا يرفع الى شيء على او على أحد من عمالى الا اعطيته ، وليس لى ولا لعمالى حق قبل الرعية الا مترك لهم .. من ادعى شيئا فليواف الموسم وليأخذ بحقه حيث كان منى او من عمالى » (٢٤) .

كما يتضح اهتمام الخلفاء الراشدين بالرقابة العامة على ولاة الدولة الاسلامية وعمالها من كتاب التولية الذى انفذه الخليفة على بن ابى طالب الى قيس بن سعد بن عباده ـ واليه على مصر ـ وامره ان يقراه على الملأ ، فصعد المنبر وقرأ ما جاء فيه (٢٥) « من عبد الله على بن ابى طالب امير المؤمنين الى من بلغه كتابى هذا من المسلمين والمؤمنين ، سلام عليكم ، اما بعد ، فانى قد بعثت اليكم بقيس بن سعد بن عباده ـ اميرا ـ فوازروه وعاضدوه واعينوه على الحق ، وقد امرته بالاحسان الى محسنكم ، والشدة على مريبكم ، والرفق بعوامكم وخواصكم ، وارجو صلاحه ونصيحته ، واسأل الله لنا ولكم عملا صالحا وثوابا جزيلا ورحمة واسعة» .

سار ولاة الدولة الاسلامية على نهج الخلفاء فى اختيار العمال من افضل العناصر التى تتمتع بالكفاية والامانة ووضعهم تحت الرقابة الادارية والمالية حتى تسهل محاسبتهم ، يتضح ذلك مما ورد فى اوراق البردى ، فقد انفذ قرة بن شريك ـ والى مصر (٩٠ ـ ٩٦ هـ) كتابا الى باسيل ـ صاحب كورة اشقوه (٢٦) يطلب منه اختيار رؤساء القرى والعمال من ذوى الامانة والذكاء ، وان يضعهم تحت رقابته الدقيقة ، وان يرسل اليه نتيجة اعمالهم ، فضلا عن مراقبتهم ماليا ، ومدى التزامهم بتعليمات جباية الضرائب الواجبة على القرى التابعة لكورته ، وان ينزل بهم اشد العقاب ان وجد عسفا او جورا فى تحصيلها ، وانذره بالمحاسبة والعقاب ان لم يقم بتنفيذ اوامره على خير وجه (٢٧) .

---

(٢٤) محمد بن يحيى : التمهيد والبيان ، ص ٥٢ .

(٢٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢٦) كورة اشقوه : كورة من كور مصر العليا ـ تقع بين ابو تيج وطهطا فى اسيوط وتعرف فى الوقت الحاضر بكوم اشقاو .

(٢٧) Bell : Transulation of the Greek Aphrodito Papyri (Der Islam I), p. 282.,

كان الخلفاء يستقبلون الناس للاطلاع منهم على احوال الولاة والعمال والتاكد من حسن ادارتهم وضبط الامور فى الولايات ، كما كانوا يخصصون فترة من مواسم الحج لمقابلة الناس بحضور الولاة والعمال ليسمعوا اخبارهم وشكواهم (٢٨) . وبذلك وضع ولاة الدولة وعمالها تحت الرقابة المستمرة التى ينتفى معها التمادى فى ظلم الناس . وقد علق ابو يوسف على ذلك بقوله للخليفة الرشيد : « متى علم العمال والولاة انك تجلس للنظر فى امور الناس يوما فى السنة ، ليس يوما فى الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم .. ويسير ذلك فى الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترىء على الظلم » (٢٩) .

ترتب على السماح للناس برقابة اعمال ولاتهم آثار بعيدة المدى بلغت حد الخلع والعزل ، فقام اهل افريقية بخلع يزيد بن ابى مسلم سنة ١٠١ هـ ، واتبعوا ذلك بكتاب انفذوه الى الخليفة الاموى يزيد بن عبدالملك . « انا لم نخلع ايدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن ابى مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون » ، فاقر الخليفة ما فعلوه . وانفذ اليهم كتابا جاء فيه : « انى لم ارض بما صنع يزيد بن ابى مسلم . واقر محمد بن يزيد — مولى الانصار الذى اختاره الناس على الولاية » (٣٠) .

لم تقتصر الرقابة العامة على الولاة بل وضعت على سائر الموظفين ومن بينهم القضاة ، فلما اشتد البلاء على اهل مصر من ولاية عبدالرحمن ابن عبد الله العمرى — صاحب القضاء (١٨٨ — ١٩٤ هـ) ، توجه نفر من الفراء الى حاضرة الخلافة ورفعوا شكاية الناس ، فلما تاكدت ادعاءاتهم ، عزله الخليفة الامين ، وانفذ رسولا خاصا بكتاب العزل فلما وصل الى مصر اقبل عليه الناس بالدعاء والثناء (٣١) .

اساليب الرقابة المالية :

بلغ من حرص الخليفة عمر بن الخطاب على الاموال العامة ان ادخل نظام المقاسمة للولاة والعمال ، فكان يحصى على العمال اموالهم (٣٢) .

---

(٢٨) ابن القيم الجوزية : الطرق الحكمية والسياسية الشرعية ، ص ٣٦٠ .
(٢٩) انظر ، كتاب الخراج ، ص ١٢١ .
(٣٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٤٥ .
(٣١) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٤١٠ — ٤١١ .
(٣٢) البلاذرى : كتاب فتوح البلدان ، ص ٢٥٧ .

فصار كل منهم يثبت امواله فى كتاب قبل توليته (٣٣) ، فاذا وجد زيادة ولم يثبت الوالى او العامل المصدر المشروع لهذه الزيادة كان جزاؤه العزل بعد ضم الزيادة الى بيت المال (٣٤) ، وفى احيان اخرى كانت تتم المصادرة بالكامل (٣٥) . فذكر قدامة بن جعفر ان الخليفة عمر بن الخطاب كان يكتب اموال عماله اذا ولاهم ثم يقاسمهم ما يزيد على ذلك اذا رجعوا وربما اخذ جميعه منهم » (٣٦) . وكانت وسيلته فى الرقابة المالية على الولاة والعمال ارسال مندوب الى الامصار لمراجعتهم ومحاسبتهم ، فارسل محمد بن مسلمه الى عمرو بن العاص بمصر وكتب اليه : « ... وقد بعثت اليك محمد بن مسلمه الانصارى ليتقاسمك مالك ، فاحضره مالك والسلام » (٣٧) .

اتخذ ابو يوسف من نهج عمر بن الخطاب نبراسا فى وصاياه الى الخليفة الرشيد فقال : «وانا ارى ان تبعث قوما من اهل الصلاح والعفاف فيمن يوثق بدينه وامانته يسالون عن سيرة العمال وما عملوا به فى البلاد ، فاذا صح عندك من العامل او الوالى تعد بظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك ، واحتجاز شىء من الفيىء ، او خبث طعمه ، او سوء سيره فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وان تقلده شيئا من امور رعيتك ، او تشركه فى شىء من امرك بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من ان يتعرض لمثل ما تعرض له » (٣٨) .

كذلك اهتم الخليفة عمر بن الخطاب بالرقابة المالية على موارد بيت المال ، ومحاسبة عماله ضمانا لتحصيل مستحقاته دون ابطاء او تاخير ، فكتب الى عمرو بن العاص ــ واليه على مصر : « من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فانى احمد الله الذى لا اله الا هو ، اما بعد ، فقد عجبت من كثرة كتبى اليك فى ابطائك الخراج .. وقد علمت انى لست ارضى منك الا الحق المبين ، ولم اقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفير الخراج وحسن سياستك ، فاذا اتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فيىء للمسلمين » (٣٩) . ويرى د. بتلر صاحب كتاب The Arab Conquest

---

(٣٣) Wiet : Précis de l'Histoire de l'Egypte, Tom II, p. 178.

(٣٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤١ .

(٣٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٣ ص ٢٢ ــ ٢٣ .

(٣٦) انظر ، كتاب الخراج ، ص ٢٣٩ .

(٣٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٨ ــ ١٩٩ .

(٣٨) انظر ، كتاب الخراج ، ص ١٣٠ .

(٣٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٥ .

of Egypt (٤٠) أن الخليفة عمر لا يهمه سوى جباية الاموال ، ولو كان ذلك على حساب أهل البلاد المفتوحة . غير ان الخليفة كان يرمى من وراء ذلك ضبط النظام المالى من خلال فرض رقابة على الاموال العامة ، وتحرى الحقائق الخاصة بامور المسلمين واموالهم ، وقد رد عمرو بن العاص على كتاب الخليفة عمر برسالة جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، اما بعد ، فقد اتانى كتاب امير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ، ويزعم انى أعند عن الحق ، وانى والله ما ارغب عن صالح ما تعلم : ولكن أهل مصر استنظرونى الى ان تدرك غلتهم ، فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من ان يخرق بهم فنصير الى ما لاغنى بهم عنه والسلام » (٤١) .

غير ان الخليفة لم يقبل اعتذاره الا بعد ان امره بارسال رجل من اهل مصر يسأله عن الامر ، فلما انفذ رجلا من القبط الى حاضرة الخلافة ، سأله عمر عن مصر وخراجها قبل الاسلام ، وفى عهد عمرو بن العاص فقال : « يا امير المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شىء قبل عمارتها ، وعاملك لا ينظر الى العمارة ، وانما يأخذ ما ظهر له ، كأنه لا يريدها الا لعام واحد » (٤٢) . فعرف عمر ما قال وقبل من عمرو بن العاص ما اعتذر به.

كذلك اهتم الولاة بالموارد المالية ومحاسبة عمالهم على تأخيرها حرصا على الاموال العامة ومراعاة لحرمتها ، فكتب قرة بن شريك الى باسيل ـ صاحب كورة اشقوه أن يعجل فى ارسال المستحقات المالية المفروضة على كورته حتى يتم صرفها فى مصروفاتها الشرعية (٤٣) ، واستيفاء حقوق بيت المال وقد جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من قرة بن شريك الى باسيل ـ صاحب اشقوه . فانى احمد الله الذى لا اله الا هو ، اما بعد ، فانك قد علمت الذى كتبت اليك من جمع المال . . فاذا جاءك كتابى فخذ فى جمع المال فان أهل الارض قد حموا منذ اشهر ،

---

(٤٠) انظر ، التعريب للاستاذ محمد فريد أبو حديد ، ص ٢٣٧ ـ

(٤١) السيوطى : حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ٦٥ .

(٤٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٦ .

(٤٣) ممن ذلك عطاء الجند المرابطين فى مصر وارزاقهم ، وما تحتاج اليه عمارة البلاد ـ ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ، ص ١٨٩ .

Van Berchem : Une Page Nouvelle de l'Histoire d'Egypte (J.A. Tom IX) p. 161.

ثم عجل الى بما اجتمع عندك من المال بالاول فالاول ، ولا اعرفنك ما حبستنا بما قبلك فان اهل الارض قد فرغوا من الحرثة وعلموا ما عليهم .. والسلام على من اتبع الهدى (٤٤) » . كما انفذ اليه كتابا آخر يطلب منه فيه ان يرسل التعليمات الخاصة بضوابط دفع الجزية الى العمال التابعين لكورته : « ونفذت فى ذلك الى جسطال (٤٥) كورنك، والى موازيت (٤٦) القرى (٤٧) . وكان يوصى صاحب الكورة بالعدل فى جباية الضرائب ومنع العسف والجور (٤٨) .

ويتجلى حرص الخلفاء على اتباع نظام الرقابة المالية فيما أورده ابو يوسف : « كان يلزم أن يأتى مع كل جباية من جبايات الامصار والآفاق عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها ، فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم الا أخذ بحقه ، وانه فضل من اعطيات اهل البلد من المقاتلة والذرية بعد اخذ كل ذى حق حقه (٤٩) » .

ثم تطورت أساليب الرقابة الادارية والمالية فى العهد الاموى بالتوسع فى استخدام اسلوب الرقابة السرية على الولاة والعمال باستعانة الخلفاء الامويين ببعض ثقاة المقربين ليكونوا عونا لهم فى ولايتهم ، فضلا عن اتخاذهم بعض العمال عيونا على غيرهم ، يتضح ذلك من وصايا الخليفة مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز بن مروان حين ولاه مصر سنة ٦٥ هـ « يابنى عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك ، واجعل وجهك طلقا تصفوا لك مودتهم ، واوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكون عينا لك على غيره ، وينقاد قومه اليك » (٥٠) .

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يراقب عماله ، ويبث حولهم

---

(٤٤) Grohmann : Arabic Papyri Vol. III, p· 12-13,

(٤٥) جسطال : المشرف على جباية الاموال فى الكورة وهى تقابل الكلمة البيزنطية اوجستاليومس .

Wiet : Précis de l'Hist· d'Egypte, T. II, p, 127,

(٤٦) موازيت القرى : رؤساء او مشايخ القرى .

سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٩ .

(٤٧) Grohmann : Arabic Papyri Vol. III, p· 17

(٤٨) وضمانا لحقوق الناس كان دافع الضريبة يمنح براءة تفيد انه قد أدى ما عليه من التزامات مالية .

Grohmann : op· cit., p, 141-142,

(٤٩) انظر ، كتاب الخراج ، ص ١٢٤ .

(٥٠) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٤٧ .

انميون ، فاذا بلغه انحراف أحدهم ، كان يلومه ويوبخه ثم يعزله اذا استمر فى اساءته التصرف فى امور ولايته » (٥١) .

لما أسند الخليفة هشام بن عبد الملك قضاء مصر ليحيى بن ميمون الحضرمى سنة ١٠٥ هـ ، لم يعمل بوصايا الخليفة واساء السيرة هو وعماله ، فانفذ طائفة من رقباء الخليفة كتابا اليه جاء فيه : أن بئس القاضى ، فكتابه لا يكتبون قضية الا برشوة ، وأن القاضى نفسه لا يحكم بالعدل ، والناس قد ضاقت ذرعا من شدة الجور والعسف وظلم الاحكام، حتى قال أحد المحكوم عليهم حكما ظالما :

الا ابلغ ابا حسان عنى ... بأن الحكم ليس على هواكا
حكمت ببـاطل لم تأت حقا ... ولم يسمع بحكم مثل ذاكا
وتزعم انهـا حق وعدل ... وازعم انهـا ليست كذاكا
الم تعلم بأن الله حق ... وانك حين تحكم قد يراكا

فلما تلقى الخليفة هشام ذلك الكتاب ، اظهر استياءه وانفذ كتابا الى الوليد بن رفاعه ـ واليه على مصر : « اصرف يحيى عما يتولاه من القضاء مذموما مدحورا ، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفا ورعا تقيا سليما من العيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم » (٥٢) .

ولما كان الخليفة هشام بن عبد الملك يثق فى نزاهة عبيد الله بن الحجاب عامل الخراج فى مصر ، عهد اليه بمهمة الرقابة الادارية والمالية على سائر الموظفين ، واطلق يده فى العمل على استقامة الامور فى البلاد . فلما كتب الى الخليفة يشتكى من سوء سيرة ادارة الحر بن يوسف ـ والى مصر ، عزله الخيلفة سنة ١٠٨ هـ ، وولى حفصا بن الوليد ، غير أن عبيد الله بن الحجاب لم يطمئن لهذا الاختيار وكتب الى الخليفة : « انك لم تعزل الحر اذ وليت حفصا » فطلب منه الخليفة اختيار الوالى ، فاختار اعادة عبد الملك بن رفاعة (٥٣) وأقره هشام على ذلك .

وقد توسع الخلفاء العباسيون فى استخدام اسلوب الرقابة السرية، وصار للرقباء مكانة كبيرة عندهم ، فلما كتب أحدهم ـ وهو صاحب

---

(٥١) ابن الجوزى : مناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٤٨ .

(٥٢) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

(٥٣) كان عبد الملك بن رفاعه قد ولى مصر للمرة الاولى مدة ثلاث سنوات من عام ٩٦ ـ ٩٩ هـ . ثم أعيد للولاية الثانية سنة ١٠٨ هـ .
الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

السكة ـ الى الخليفة ابى جعفر المنصور عن تقاعس واليه على مصر حميد ابن قحطبة عن التصدى لرعاة العلويين ، عزله وعين يزيد بن حاتم بن قبيصة سنة ١٤٤ هـ (٥٤) . ولما اساء عمال عيسى بن منصور ـ والى مصر ـ السيرة (٥٥) ، وقامت الثورات فى الوجه البحرى فى جمادى الاول سنة ٢١٦ هـ ، استقر راى الخليفة المأمون على ان يتوجه بنفسه الى مصر فوصلها فى المحرم سنة ٢١٧ هـ فعزل واليها ، وقال : « لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك ، حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتمونى الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد » . ولما تمكن من اعادة الاستقرار داخل البلاد تفقد بعض المدن والقرى للوقوف على احوالها وعاد لحاضرة الخلافة بعد ان اقام فى مصر تسعة واربعين يوما (٥٦) .

ومن ناحية اخرى ذكر ابن دحيه ، ان الخليفة المأمون استعمل القا وسبعمائة برسم الاخبار ببغداد ، فما كان يخفى عليه شىء (٥٧) .

دور صاحب البريد فى الرقابة :

كان نظام البريد الذى تم تطويره على عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان (٥٨) قد استخدم ـ الى جانب نقل الرسائل والمكاتبات كوسيلة من وسائل الرقابة الاساسية التى اعتمد الخلفاء عليها ـ فى ضبط احوال الولايات ، وحسن سير الادارة فيها (٥٩) ، فكان يكلف صاحب البريد بموافاة الخليفة بما يجرى فى ولايات الدولة ، لذلك كان يعرف بصاحب البريد والاخبار (٦٠) .

وكان يقوم من جانبه بجمع الاخبار (٦١) ، وترتيبها والفاذها الى الخليفة . وتتضح طبيعة وظيفة الرقابة التى استندت الى صاحب البريد من عهد التولية الذى اورده لنا قدامة بن جعفر : « ... وان يعرف حال عمال الخراج والصناع فيما يجرى عليه امرهم ، ويتتبع ذلك تتبعا

---

(٥٤) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ١١١ .

(٥٥) Lone-Poole : Egypt in the Middle Ages, p. 37.

(٥٦) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٥٧) انظر ، النبراس فى تاريخ العباس ، ص ٤٨ .

(٥٨) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٧٧ .

(٥٩) Gibb : The Arab Conquests in Central Asia, p. 26.

(٦٠) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٢٠١ .

(٦١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١١٢ .

ابو يوسف : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

شافيا ، ويستشفيه استشفافا بليغا وينهيه (يبلغه) على حق وصدق ، وأن يعرف حال عمارة البلاد ، وما هى عليه من الكمال والاختلال ، وما يجرى من امور الرعية ، فيما يعاملون به من الانصاف والجور والرفق والعسف ، فيكتب به مشروحا ، وأن يعرف ما عليه الحكام فى حكمهم وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم .. وأن يكون ما ينهيه من الاخبار شيئا يثق بصحته .. وأن يفرض لكل ما يكتب من الاخبار كتبا بأعيانها، فيفرد لأخبار القضاة والخراج والضياع والارزاق ونحو ذلك كتبا ، ليجرى كل كتاب فى موضعه (٦٢) » .

كان صاحب البريد والاخبار المعين من قبل الخليفة لا يخضع لنفوذ الوالى ، ويتصل بدار الخلافة مباشرة ، وله حق الدخول على الخليفة فى اى وقت (٦٣) . ولذلك قال ابو جعفر المنصور : « ما وددت أن يكون على بابى أعف من اربعة هم عمد الملك لا يصلح الا بهم ، كما لا يصلح السرير الا بأربعة قوائم ، قاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، وصاحب خراج يستقضى ولا يظلم ، وصاحب بريد يكتب لى بخبر هؤلاء على الصحة (٦٤) . فكان صاحب البريد يختار من بين الامناء الثقاة العدول ، لأن الاخبار التى كان يبلغها الى الخليفة قد يترتب عليها العزل ، ذلك ان الخليفة عمر بن عبد العزيز لما وصله كتاب صاحب البريد على مصر أن عامل الخراج أسامة بن زيد قد تشدد فى جباية الخراج من أهل مصر الى حد العسف والقسوة والجور ، عزله وولى مكانه حيان بن سريج ، ولم يكتف بذلك ، بل امر الوالى الجديد بحبس أسامة (٦٥) .

كان الولاة فى الامصار الاسلامية يعهدون الى الثقاة الامناء القيام بوظيفة صاحب البريد والاخبار فى الاقاليم التابعة لولاياتهم ، لمراقبة تصرفات العمال وتبليغ الوالى بأحوالهم ، يتضح ذلك من كتاب قرة بن شريك الى صاحب كورة اشقوه « اما بعد ، فانى احمد الله الذى لا اله الا

---

(٦٢) الخراج ، ص ٥٠ ــ ٥١ .

فكان ولاة البريد فى جميع الانحاء يكتبون الى الخليفة المنصور يوميا بأسعار الحبوب والمأكولات ، وما يقاضى به القاضى ، وما يعمله الوالى ، وكل ما يجرى فى الولاية ، وما يرد الى بيت المال .

انظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٩٦ .

(٦٣) الحسن بن عبد الله : آثار الاول فى ترتيب الدول ، ص ٨٣ .

(٦٤) الحسن بن عبد الله : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٦٥) عمرو بن محمد : فضائل مصر ، ص ٥٥ .

هو ، فان القاسم بن سيار ـ صاحب البريد ـ ذكر لى انك اخذت قرى فى ارضك بالذى عليهم من الجزية ، فاذا جاءك كتابى هذا فلا تعترض احدا منهم بشىء حتى احدث اليك فيهم ان شاء الله ، والسلام على من اتبع الهدى » كتب فى ربيع الاول سنة ٩١ هـ (٦٦) .

يتجلى اثر رقابة صاحب البريد والاخبار فى موقف الخليفة الرشيد من واليه على مصر موسى بن عيسى ، ذلك انه لما اخبر ان الوالىعازم على الخلع ، قال الرشيد : « والله لا اعزله الا باخس من على بامى » وامرجعفر ابن يحيى ، فاحضر عمران بن مهران ، وكان احول مشوه الخلق ، وانفذه واليا على مصر نكاية فىموسى بن عيسى (٦٧) .

على الرغم من ان الخلفاء كانوا يغدقون على اصحاب البريدوالاخبار بالاموال والرواتب الكبيرة التى كانت تصرف لهم من بيته المال ، الا ان بعضا منهم استغل مكانته عند الخليفة ، وعلو شأن وظيفته فى تدبير المؤامرات لعزل بعض العمال ، وتعيين آخرين من المقربين ، فمن ذلك ان ابراهيم بن صالح والى مصر (١٦٥ ـ ١٦٧ هـ) اتفق مع سراج بن خالد صاحب البريد والاخبار ـ على الوشاية باسماعيل بن اليسع عندالخليفة لعزله وتعيين غوث بن سليمان ، فكتب الى المهدى ان اسماعيل بناليسع ـ قاضى البلاد ـ قد مرض مرضا شديدا ، وان البلاد فى حالة هياج ، والناس فى ضجيج عظيم ، وان الوالى قد اقعد غوثا ، فلما وصل الكتاب الى الخليفة اقر ذلك وتم لهما ما ارادا (٦٨) .

وقد ادى تدخل اصحاب البريد فى الشئونالداخلية للولاة والعمال، وما ترتب على ذلك من آثار سيئة الى تحذير ابى يوسف الخليفةالرشيد فى وصاياه فقال : « وانهم ربما مالوا مع الولاة ضد العمال ، وكتبوا بما لم يفعلوا اذا لم يرضوهم ، وهو ما ينبغى ان تتفقد وتامر باختيار الثقاة العدول من اهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والاخبار ... ويجرى لهم من الرزق من بيت المال ، وليدر عليهم حتى لا يستروا عنك خبرا عن رعيتك ولا عن ولاتك ، ولا يزيدون فيما يكتبون به عليك خبرا فمن لم يفعل فنكل به (٦٩) .

---

(٦٦) Grohmann : The Arabic Papyri, Vol. III, p. 28

(٦٧) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ ص ٩١ .

(٦٨) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٣٧٣ .

(٦٩) انظر : كتاب الخراج ، ص ٢٠١ .

ولما كانت النقود تتمتع باهمية خاصة فى الاقتصاد القومى للدولة الاسلامية ، لذلك اهتمت الادارات المالية فى الولايات بالرقابة المالية الصارمة على دور الضرب ، واصلاح مسارها خاصة بعد تفشى ظاهرة المسكوكات الزيوف (٧٠) والبهرجة (٧١) والمكروهة (٧٢) . فقد ترتب على ذلك هبوط قيمة العملات وارتفاع اسعار السلع وضعف القوة الشرائية (٧٣) وما له من تاثير سيء على الحالة الاقتصادية . لذلك كان يعاقب المخالف عقابا شديدا ، فمن ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز اتى برجل يضرب على غير السكة الشرعية فعاقبه وسجنه (٧٤) . كما امر الخليفة هشام بن عبد الملك الولاة بالتشدد فى العيار حتى احكم امرها ابلغ إحكام على الطباعين واصحاب العيار بعد ان عوقب المخالفون بقطع الايدى وضرب الابشار (٧٥) . كما وضعت الدفاتر فى دواوين دور الضرب لاحكام الرقابة المالية والادارية مما يضرب فيها من العين والورق، وما يلزمه المورقون من الكلف والمؤن ، وكل ما يتعلق بالنقد وحركة دور الضرب (٧٦) .

كما كانت الادارة المالية تصدر صنجا زجاجية لاحكام الرقابة المالية، وذلك لضبط عيار النقود واوزانها المحددة ، تجنبا لوقوع الغش لصنجات مضبوطة محكمة (٧٧) . وتوكيدا وإحكاما للرقابة كانت الصنج تحمل اسماء الخلفاء فضلا عن اسم الوالى او عامل الخراج او صاحب الشرطة (٧٨) .

---

(٧٠) الزيوف : الدراهم المزيفة التى خلط بها ، او طلى ظاهرها بالنحاس .
الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ، ص ٥٠ .

(٧١) البهرجة : النقود المزيفة بصفة عامة ويرفض التجار التعامل بها .
البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٥٤ .

(٧٢) المكروهة : النقود التى تنقش عليها عبارات التوحيد ، وكرهها العلماء والفقهاء ، لان الجنب والحائض يتعاملون بها .
المقريزى : شذور العقود فى اخبار النقود ، ص ٢ .

(٧٣) Walker : Political Economy, p. 123.

(٧٤) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ٦٥٨ .

(٧٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ١٧٧ .

(٧٦) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٦١ .

(٧٧) البيهقى : المحاسن والمساوىء ، ج ٢ ص ٢٣٥ . وكانت الصنج الخاصة بالدينار تزن ٤٫٢٥ جم أو ٦٦ حبة ، والخاصة بنصف الدينار تزن ٢٫١٠٥ جم او ٣٣ حبة . والخاصة بثلث الدينار تزن ١٫٣٩٥ جم أو ٢٢ حبة .
انظر :
Frey : Dictionary of Numismatic names, p. 66, 103.

(٧٨) Miles : Early Arabic Glass Weights and Stamps, p. 131, 117, 125-126, 74.

كذلك كان ديوان الخراج يصدر مجموعة من الصنج الزجاجية تحدد بأوزانها حقوق بيت المال ، وذلك ضمانا لتحصيل مستحقاته(٧٩).

كما وضعت الادارة المالية نظاما مقننا لخدمة الرقابة المالية ،وذلك بتحديد الضرائب وفق مكاييل رسمية تصنع تحت اشراف عمال الخراج واصحاب الشرطة (٨٠) ، حتى تسهل عملية المراقبة المالية والمحاسبةعند تحصيل ضريبة الفلال (المحصول) (٨١) ، والرقابة على البيع والشراء في الاسواق من خلال المكاييل التى تحدد اوزان السلع المتداولة ، والتى كانت اختامها تحمل اسماء الوالى او اصحاب الشرط او عمال الخراج — الذين كانوا يستمدون سلطتهم من الخليفة . ظل الحال على ذلك حتى ظهور وظيفة المحتسب فى اوائل العصر العباسى (٨٢) فنقل اليها الاشراف على حركة البيع والشراء فى الاسواق ومنع التلاعب بالاسعار .

تطور وسائل الرقابة منذ منتصف القرن الثانى الهجرى :

تطورت اساليب الرقابة الادارية والمالية على الولاة والعمال فى الدولة الاسلامية بعد أن حدثت تغيرات جذرية فى نظام الامارة ، فلما أحاز الخلفاء لولاتهم على الاقاليم والامصار الاسلامية البقاء فى حاضرة الخلافة بعيدا عن ولاياتهم ، وانابة من يحكمون فيها باسمهم ضعفت وظيفةالامارة على البلدان (٨٣) نتيجة اختيار عناصر لا يتوافر فيها الشروط المؤهلة للولاية ، فقلت الكفاءة وانعدمت الامانة ، وصار اختيار الولاة يتوقفعلى المقربين من ذوى السلطة والنفوذ فى حاضرة الدولة وبخاصة الوزراءالذين استأثروا بالنفوذ وتدخلوا فى التولية والعزل لولاة الدولة وعمالها ، وهو الامر الذى ترتب عليه تعيين ولاة ضعفاء .

استحدثت دواوين جديدة تختص بالرقابة الادارية والمالية بعد أن صار من المتعذر الاعتماد على الرقابة الذاتية او الرقابة العامة ، وبعد أن

---

(٧٩) Miles : Op· cit., p, 84, 87

(٨٠) Van Berchem : La proprietée territoirale et l'import foncier sous les premiers Califes, p. 21·

من ذلك مكيله للقاسم بن عبيد الله — عامل الخراج فى مصر (١١٦ — ١٢٤ هـ) وقراءتها بسم الله . امر الله بالوفا . وامر بصنعة هذا القسط . القاسم بن عبيد الله على يدى مسلم بن العراف سنة تسع عشر ومائة . ومنها ايضا مكيلة لعبد الرحمن ابن يحيى مولى امير المؤمنين .

(٨١) Milne : A Hist· of Egypt, p. 118

(٨٢) السيد الباز العرينى : الحسبة والمحتسب — مجلة الجمعية التاريخية ، م ٣ لسنة ١٩٥٠ ، ج ١٥٩ — ١٦٠ .

(٨٣) امير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ، ص ١٦٧ .

تعقدت الامور ولم يعد صاحب البريد والاخبار يستطيع الوفاء بالمهام المكلف بها ، لذلك عهد الخليفة المهدى الى دواوين الازمة فى اولايات سنة ١٦٢ هـ (٨٤) بالرقابة المالية والادارية فى ولايات الدولة ، والعمل على ضبط حساباتها وتدقيقها وحسن سير ادارتها ، وجعل فى دار الخلافة ديوان زمام الازمة كديوان مركزى عام ، يشرف على دواوين الازمة فى الولايات (٨٥) . يقول الطبرى : « اول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع فى خلافة المهدى ، وذلك انه لما جمعت له الدواوين تفكر ، فاذا هو لا يضبطها الا بزمام يكون له على كل ديوان ، فاتخذ دواوين الازمة ، وولى كل ديوان رجلا .. وجعل فى الحاضرة ديوان زمام الازمة » (٨٦) .

كما انشئت ولاية المظالم ، ونظم ديوانها على عهد الخليفة المهدى من اجل الرقابة الادارية والمالية على الولاة والعمال فى اقاليم الدولة والتصدى لعسفهم برعايا الدولة الاسلامية .

اختلف ديوان المظالم الذى نشأ فى كنف الدولة العباسية عن القضاء العادى ، فكان يجمع بين القضاء والشرطة بعد ان تكاملت له سطوة الحماة وثبت القضاة ، فقضى بذلك على عجزه عن ايصال الحق لاصحابه ، وكان يطلق على رئيسه ناظر المظالم ، الذى كان يشترط فيه أن يكون جليل القدر ، نافذ الامر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع.

كان يتبع ناظر المظالم مجلس من الحماة والاعوان من رجال الشرطة والقضاة والمراقبين ، للاستعلام عما وجدوه من مظالم فى ولايات الدولة فضلا عن الفقهاء لاستفتائهم فيما يكون غامضا ، والكتاب لاثبات مايجرى فى مجلس الناظر والشهود وليشهدوا على ما اوجب الناظر من حقوق وما امضاه من أحكام (٨٧) .

ولما كانت الرقابة الادارية والمالية من اهم اختصاصات ناظر المظالم لذلك كان يضطلع بالنظر فى تعدى الولاة على الرعية واخذهم بالعسف والجور فيتصفح احوال الولاة من تلقاء نفسه دون حاجة الى متظلم ليقويهم ان انصفوا ويكفهم ان فسقوا (٨٨) . كما كان ينظر فى جور العمال

---

(٨٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٢٤٦ .
(٨٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ١٦٨ .
(٨٦) انظر : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ١٦٧ .
(٨٧) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٧٧ — ٧٨ .
(٨٨) الماوردى : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

فيما يجبونه من الاموال ويأخذهم بها وينظر فيما استزادوه ، فان رفعوه الى بيت المال أمر برده ، وان اخذوه لأنفسهم استرجعه لاربابه .

لم تقتصر رقابة ناظر المظالم على الولاة بل كان عليه تصفح احوال كتاب الدواوين ، لأنهم امناء المسلمين على ثبوت اموالهم فيما يستوفونه له ويوفونه منه . كما كان ينظر فى تظلم الموظفين من نقص ارزاقهم او تأخرهاعنهم . وكان عليه رد الغصوب السلطانية ـ التى يأخذها الولاة بغير حق بضمها الى الدولة ظلما او الاستئثار بها لأنفسهم ـ فيحكم برده الى ذويه من تلقاء نفسه دون حاجة الى متظلم .

كذلك كان على ناظر المظالم مراقبة المصارف العامة للاوقاف ليجرى ريعها على سبيلها ، كما كان يفصل فى المنازعات المتعلقة بالاوقاف الخاصة حتى يعطى كل ذى حق حقه نظرا لضعف المستحقين امام سطوة نظار الوقف .

كان هناك دواوين فرعية فى الولايات والامصار الاسلامية تتبع ديوان المظالم يلى امرها ولاة المظالم (٨٩) ـ الذين اضطلعوا بمهمة الرقابة الادارية والمالية على الولاة والحكام والعمال ، وحسن سيرتهم فى الرعية . فولى عيسى بن يزيد الجلودى على المظالم فى مصر سنة ٢١٤ هـ (٩٠) ، وخلفه اسحق بن اسماعيل بن حمدان بن زيد فى السنة التالية ، وكان جليل القدر عظيم الهيبة فى قلوب الناس والحكام على السواء على عهد الوالى عبد ربه بن جبله (٩١) .

اتسعت دائرة اختصاص هذا الديوان وازدادت سلطاته على الولايات والامصار ، حتى صار من اهم وسائل الرقابة والاشراف الادارى ، ومن اقوى النظم التى ادت الى تقويم ادارة الولايات ،وتصحيح مسارها ، ومنع ظلم الولاة والحكام.

□ ■ □

---

(٨٩) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٦٤ .
الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٩١ .
(٩٠) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٨٥ .
(٩١) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

الخاتمـــــــــــة

تطورت الرقابة الادارية والمالية فى الدولة الاسلامية تبعا للتطورات التى طرات على النظم الحضـــارية الاخرى ، وبخاصـــة النظم الادارية ، بسبب اتساع الفتوحات الاسلامية وامتداد حدود العالم الاسلامى .

وقد ادى انتشار الاسلام واتســـاع دائرته الى الاســـتعانة ببعض الولاة والعمال ، فوضع النبى صلى الله عليه وسلم اسس اختيار العمال من افضل العناصر واصلحها لتكون الاعمال بالكفاءة مضـــبوطة والاموال بالامناء محفوظة . وسار على نهجه الخلفاء الراشدون ، فكانوا يتحرزون فى اختيار الولاة من ذوى الامانة والقوةوالفضيلة ، ضمانا لتحقيقالرقابة الذاتية التى كانت تعد من اهم انواع الرقابة الادارية والمالية فىالاسلام .

وعلى الرغم مما كان يتبع فى اختيار ولاة الدولة وعمالها ممنتتوافر فيهم النزاهة والامانة ، الا ان الخلفاء حرصوا على الاشراف على اعمالهم وذلك بارسال نواب من قبلهم الى الامصار الاسلامية ، كما باشروامراقبة تصرفاتهم ، ذلك ان الرقابة من الوسائل المادية التى لا تتعارض معتعاليم الاسلام ولا غبار فى الاعتماد عليها لتحقيق مصالح العباد والبلاد .

كذلك عمد الخلفـــاء الامويون الى ادخال نظـــام الرقابة الســـرية على الولاة والحكام ضمانا لحسن سير ادارتهم للبلدان ، وعدمجورهموعسـفهم ، وتجنبا لخروجهم على طاعتهم .

كما تطورت مهام صاحب البريد فى العصر الاموى ، فصـــار يتولى الرقابة الادارية والمالية على العمـــال والولاة فضـــلا عن الرقابة على دور الضرب .

حظيت الرقابة الادارية والماليـــة على دور الضرب فى ولايات الدولة الاسلامية باهتمام الخلفاء والولاة ، فصاروا يشرفون عليها بانفسهم حتى ظهور نظام الحسبة فى العصر العباسى . وقامت الادارة المالية فى الامصار الاسلامية باصدار صنج السكة لضبط عيار واوزان النقود المتداولة ، كما كانت تصدر صنجا زجاجية ومكاييل تحمل اســـم الوالى ، او عامل الخراج ، او صاحب الشرطة ، لتوكيد احترامأوزانها تجنبا لوقوعالغش فى العملبات المالية ، وحركة البيع والشراء فى الاسواق .

وتأثرت النظم المالية والادارية بالاوضاع السياسية والاجتماعية التى شهدتها الدولة العباسية ، فلما استحدث منصب الوزير وازدادت سلطة بعض الوزراء صار من حقهم تعيين الولاة وعزلهم ، ترتب على ذلك أن ولى الامارة على البلدان ، ولاة لاتتوافر فيهم الكفاية والنزاهة ، لذلك عمد الخليفة المهدى الى انشاء بعض الدواوين لاحكام الرقابة الادارية والمالية .

وكان لدواوين الازمة التى استحدثها الخليفة المهدى العباسى اثر كبير فى الرقابة وضبط الامور فى ولايات الدولة الاسلامية . كما كان لقيام ديوان المظالم بالرقابة الادارية على الولاة اثره فى حسن سير الامور بالولايات .

وهكذا تطورت وسائل الرقابة الادارية والمالية فى الدولة الاسلامية، مما كان له تأثير واضح فى الناحيتين السياسية والحضارية .

المصـــــادر والمراجـــــع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- **القرآن الكريم**

- **ابن الاثير** (ت ٦٣٠ هـ) ابو الحسن على بن ابى الكرم .

(٢) « الكامل فى التاريخ » ـ دار الفكر ـ بيروت ، ١٩٧٨ هـ .

- **بتلر : الفرد ج**

(٣) « فتح العرب لمصر » ـ ترجمة محمد فريد ابوحديد ـ دارالكتب المصرية ، ١٩٣٣ هـ .

- **البخارى** : (ت ٢٥٦ هـ) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن برد زبه الجعفى البخارى .

(٤) « صحيح البخارى » ـ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ، ١٣٩٣ هـ .

- **البلاذرى** : (ت ٢٧٩ هـ) أحمد بن يحيى بن جابر .

(٥) « كتاب فتوح البلدان » ـ مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ م

- **البيهقى** : (ت ٣٢٠ هـ) ابراهيم بن محمد

(٦) « المحاسن والمساوىء » ـ بيروت ، ١٩٦٠ م .

- **ابن تيمية** : (ت ٧٢٨ هـ) تقى الدين أحمد

(٧) « السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية » ـ دار الهلال ١٩٨١ م .

- **ابن الجوزى** : (ت ٥٩٧ هـ) ابو الفرج عبد الرحمن

(٨) « سيرة عمر بن الخطاب » ـ مطبعة التوفيق بمصر .

(٩) « مناقب عمر بن عبد العزيز » ـ مطبعة السعادة بمصر .

ـ **الجهشيارى** : (ت ٣٣١ هـ) أبو عبد الله محمد بن عبدوس

(١٠) « الوزراء والكتاب » ـ مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة، ١٩٣٨م

ـ **الحسن بن عبد الله** (الفه سنة ٧٠٨ هـ) ابو على الحسن بن عبد الله ابن محمد بن عمر

(١١) « آثار الاول فى ترتيب الدول » ـ بولاق ، ١٢٩٥هـ .

ـ **ابن خرد ذابة** : (ت ٣٠٠ هـ) ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله

(١٢) « المسالك والممالك » ـ ليدن ، ١٨٨٩ م .

ـ **ابن دحيه** : (ت ٦٣٣ هـ) عمر بن ابى على.

(١٣) « النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس » ـ بغداد ، ١٩٤٦م .

ـ **سامح عبد الرحمن فهمى**

(١٤) « المكاييل فى صدر الاسلام » ـ مكة المكرمة ، ١٤٠١ هـ .

ـ **ساويرس بن المقفع** : (ت اواخر القرن الرابع الهجرى)

(١٥) « سير الآباء البطاركة » ـ باريس ، ١٩١٠ هـ .

ـ **السيد الباز العرينى**

(١٦) « الحسبة والمحتسب » ـ مجلة الجمعية التاريخية ـ المجلد الثالث ، ١٩٥٠ م .

ـ **سيده اسماعيل كاشف**

(١٧) « مصر فى فجر الاسلام » ـ دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ م .

ـ **ابن سعد** : (ت ٢٣٠ هـ) محمد بن سعد

(١٨) « كتاب الطبقات الكبير » ـ لجنة نشر الثقافة الاسلامية ـ القاهرة ، ١٣٥٨ هـ .

- **سيد امير على**

(١٩) « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى » ترجمة رياض رافت القاهرة ، ١٩٣٨ م .

- **السيوطى** : (ت ٩١١ هـ) جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر

(٢٠) « حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » ـ القاهرة ، ١٣٢١هـ.

(٢١) « تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بأمر الامة » ـ القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

- **الطبرى** : (ت ٣١٠ هـ) ابو جعفر محمد بن جرير

(٢٢) « تاريخ الرسل والملوك » ـ دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٦٦م .

- **ابن عبد الحكم** : (ت ٢٥٧هـ) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدالحكم

(٢٣) « فتوح مصر والمغرب » ـ لجة البيان العربى ، ١٩٦١ م .

- **ابن عبد ربه** : (ت ٣٤٩ هـ) شهاب الدين احمد بن محمود المروانى الاندلسى

(٢٤) « العقد الفريد » ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ، ١٩٦٧م .

- **عمر بن محمد** : (ت اواخر القرن الرابع الهجرى) عمر بن محمد ابن يوسف الكندى

(٢٥) « فضائل مصر » ـ مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧١ م .

- **ابو الفدا** : (ت ٧٣٢ هـ) عماد الدين اسماعيل

(٢٦) « المختصر فى اخبار البشر » ـ دار المعرفة ـ بيروت ، ١٩٦٧م.

- **ابن قتيبة** : (ت ٢٧٦ هـ) ابو محمد عبد الله بن مسلم

(٢٧) « عيون الاخبار » ـ الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م .

- **قدامة بن جعفر** : (ت ٣٣٧ هـ) ابو الفرج قدامه بن جعفر البغدادى

(٢٨) « الخراج وصناعة الكتابة » ـ دار الرشيد بالعراق ، ١٩٨١م.

ـ **ابن القيم الجوزيه :** (ت ٧٥١ هـ) شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابى بكر

(٢٩) « الطرق الحكمية والسياسة الشرعية » ـ القاهرة ، ١٣٩٦هـ.

ـ **الكرملى : الاب انستانس**

(٣٠) « النقود العربية وعلم النميات » ـ القاهرة ١٩٣٩ م .

ـ **الكندى :** (ت ٣٥٠ هـ) ابو عمر محمد بن يوسف

(٣١) « كتاب الولاة وكتاب القضاة » ـ بيروت ، ١٩٠٨م .

ـ **الماوردى :** (ت ٤٥٠ هـ) ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى

(٣٢) « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » ـ البابى الحلبى بمصر، ١٩٧٣ م .

ـ **ابو المحاسن :** (ت ٨٧٤ هـ) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى

(٣٣) « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ـ المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣ م .

ـ **محب الدين الطبرى :**

(٣٤) « الرياض النضرة فى مناقب العشرة » ـ القاهرة ، ١٣٩٠ هـ.

ـ **محمدرشيد رضا :**

(٣٥) (الوحى المحمدى) ـ دار المنار ، ١٩٤٧م .

ـ **محمد بن يحيى :** (ت ٧٤١ هـ) محمد بن يحيى بن ابى بكر

(٣٦) « التمهيد والبيان » ـ دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤م .

ـ **المقريزى :** (ت ٨٤٥ هـ) تقى الدين ابو العباس احمد بن على

(٣٧) « شذور العقود فى اخبار النقود » ـ القاهرة ، ١٩٦٧م .

ـ **يحيى بن آدم :** (ت ٢٠٣ هـ) يحيى بن آدم القرشى

(٣٨) « كتاب الخراج » ـ القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

- **اليعقوبى :** (ت ٢٨٢ هـ) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب
(٣٩) « تاريخ اليعقوبى » ـ المكتبة المرتضوية ، ١٣٥٨ هـ .

- **ابو يوسف :** (ت ١٩٢ هـ) يعقوب بن ابراهيم
(٤٠) « كتاب الخراج » ـ المطبعة السلفية ، ١٣٩٦ هـ .

معهد البحوث الدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
تحت إشراف الجامعات العربية

ثانيا ـ المراجع الاجنبية :

— **Bell :**
«Translation of the Greek Aphrodito Papyri», (Der Islam II) 1911.

— **Druker, A. & Peter, F. :**
«The Practice of Management», Harper and Brothers Publisher — New York, 1954.

— **Frey, A.R. :**
«Dictionary of Numismatic Names», A.N.S, 1917,

— **Gibb, H.:**
The Arab Conquests in Central Asia», London, 1923.

— **Grohmann, A. :**
«Arabic Papyri», Vol. III, Cairo, 1938.

— **Lane-Poole :**
«A History of Egypt in the Middle Ages», London, 1925.

— **Milne, J.C. :**
A History of Egypt under Roman Rule», London, 1924.

— **Miles, G.C. :**
«Early Arabic Gloss Weights and Stamps», New York, 1948.

— **Van Berchem, M. :**
«La proprietée territoriale et l'impôt foncier sous les premiers Califes», Généve, 1886.
«Une page nouvelle de l'Histoire d'Egypte», J.A.T,IX, Paris 1907,

— **Walker, Francis :**
«Political Economy» New York, 1959.

— **Wiet, G. :**
«L'Egypte Musulmane» (Précis de l'Histoire d'Egypte, Tome II), Le Caire, 1932.